جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

المرحلة : الرابعة

المادة : تاريخ العالم المعاصر

عنوان المحاضرة : ظهور الانظمة الشمولية

اسم التدريسي : م.م. عماد طلفاح محمد

الايميل الجامعي للتدريسي : emad.tlfah@tu.edu.iq

ظهور الانظمة الشمولية

اولا : ايطاليا :-

دخلت ايطاليا الحرب العالمية الأولى ووقفت الى جانب دول الوفاق الودي لغرض الحصول على مغانم اقليمية واستعمارية، وقد تعهدت معاهدة لندن الشرية لعام ١٩١٥ اعطاء الايطاليين بعض الأراضي النمساوية واجزاء من الممتلكات الالمانية والعثمانية، لم يبرز الايطاليون كما لم يحالفهم التوفيق اثناء الحرب العالمية الأولى ورغم ذلك بلغت خسائرهم البشرية في نهاية تلك الحرب حوالي ٦٠٠ الف شخص. وعندما حضر مندوبو ايطاليا الى مؤتمر الصلح في باريس كانوا متيقنين بأن تضحياتهم سيتم الاعتراف بها كما أن طموحاتهم الاقليمية ستتحقق، غير ان سرعان ما خابت آمالهم، فالرئيس الامريكي ولسن رفض الاعتراف ببنود معاهدة لندن السرية كما انه لم يكترث بالمطالب الايطالية ولم تبد انكلترا أو فرنسا اي رغبة في الوقوف الى جانب ايطاليا، على اي حال تسلم الايطاليون بعض المقاطعات النمساوية التي كانوا قد وعدوا بها لكنهم لم يحصلوا على اي من الممتلكات الألمانية أو العثمانية السابقة. قاست ايطاليا بعد الحرب العالمية الأولى مثل بقية الاقطار الأوربية من عبء الديون الحربية والازمة الاقتصادية والبطالة، وقد انتشر الهياج الاجتماعي وظهرت في الارياف حركة اغتصاب الاراضي التي رغم انها كانت على نطاق محدود لكنها ادت الى نشر القلق بين صفوف الملاكين من ناحية اخرى رفض المزارعون دفع ايجارات الاراضي التي يشتغلون فيها كما حرق الفلاحون المحاصيل الزراعية واتلفوا المواشي، وفي المدن الكبرى اعلنت الاضرابات وخاصة في الصناعات الثقيلة ومشاريع المواصلات وتحولت بعض الاضرابات الى ما يسمى "اضرابات الملازمة Sitdown Strikes حيث يتوقف العمال عن العمل لكنهم يرفضون مغادرة المصانع ورفعت شعارات تدعو الى سيطرة العمال على المعامل.

وقد تنصل الاشتراكيون المعتدلون وزعماء العمال عن هذه الاعمال المتطرفة غير ان الاشتراكيين اليساريين الذي تحولوا الى شيوعيين وارتبطوا بالأممية الثالثة ابدوا تلك الاعمال، وفي الوقت نفسه اخذت عصابات مسلحة من الشباب اشهرها اصحاب القمصان السوداء اوالفاشست تتشاجر في الشوارع مع الشيوعيين وبسطاء العمال، وفي اواخر صيف سنة ١٩٢٠ هدأت الاضرابات العمالية والهياجات الفلاحية لكن اعمال العنف استمرت قائمة في شوارع المدن.

لم تتخذ الحكومة اي اجراءات فعالة اثناء فترة الهياج والاضطرابات من جهة اخرى فإن النظام البرلماني الايطالي الذي جرى تطبيقه قبل الحرب لم يكن مؤثرا كما انه لم ينل تأييدا واسعا في البلاد، وبعد الحرب تبين احترام الشعب للبرلمان والوزارات الائتلافية الضعيفة ايضأن ف عام ١٩١٩ جرت الانتخابات البرلمانية وكانت اول انتخابات تجري وفق مبدأ التصويت العام لكل الرجال، وقد حصل الاشتراكيون والكاثوليك الشعبيون او الاشتراكيون المسيحيون على اصوات متميزة في تلك الانتخابات، وفي اعقاب اضطرابات ما بعد الحرب جرت انتخابات جديدة نتج عنها ذهاب نسبة كبيرة من الاصوات الى حزب الاحرار والحزب الديمقراطي والاشتراكي المعتدلين والحزب الكاثوليكي الشعبي وحصلت حركة

موسوليني الفاشستية على ٣٥ مقعدا برلمانيا من المجموع الكلي البالغ ٥٠٠ مقعدا، من الواضح ان ما حصلت عليه هذه الحركة لا يدل على قوة حزبية متميزة لكن صفوف الفاشست ما لبثت ان توسعت في فترة اضطرابات ما بعد الحرب.

رغم خمود الهياج الاجتماعي وعدم ظهور تهديد بنشوب ثورة من الطراز السوفيتي فإن الطبقات الموسرة انتابها ذعر كبير بسبب الاضطرابات السياسية لكنها من ناحية اخرى احسن بالارتياح من الحركة الفاشية وبدت مستعدة لتقديم المساعدة المالية لها. ومن الجدير بالذكر ان موسوليني وبقية الفاشست كانوا في البداية مسايرين للمد الراديكالي فلم يشجبوا الاستيلاء على المعامل كما انهم نددوا بأثرياء الحرب ودعوا الى فرض ضرائب مرتفعة على رؤوس الأموال والارباح غير ان موسوليني لم يكن ابدأ من الذين يضحون بالفرصة في سبيل الاحتفاظ بالمبادئ او المعتقدات لذلك سرعان ما تحول هو وجماعة الفاشست الى مساندين للقانون الوطني والنظام والملكية الخاصة، وعلى اثر ذلك قامت الفئات الغنية المناهضة للبلشفية بتقديم المساعدة المالية للفاشيين كما ان الوطنيين والقوميين من مختلف الطبقات صاروا ينضمون للحركة الفاشية، اما الطبقة الوسطى الدنيا المتضررة من التضخم الاقتصادي والتي لم تستطع الحصول على حماية او عون من نقابات العمال أو من الحركات الاشتراكية فقد توجهت للالتحاق بالفاشيين ايضا، وفي الوقت نفسه صار اصحاب القمصان السوداء (الفاشست) الذين ادعوا انهم المدافعون عن النظام الوطني والمبادئ القومية يقومون بضرب الاشتراكيين المسيحيين والشيوعيين وغيرهم ممن لا يؤيد الحركة الفاشية، كما لم يتوانوا عن القيام بأعمال الحرق والقتل في مناطق مختلفة من البلاد، واخذت فصائل الامن الفاشية على عاتقها كسر الاضرابات وتخريب مقرات النقابات واخراج الموظفين الاشتراكيين والشيوعيين من دوائرهم وعزز موسوليني ادعاءه المتضمن بأنه حامي للقانون والسلطة والنظام وذلك بإعلانه الولاء للملك وللكنيسة بينما كان في سنوات سابقة جمهوريا متحمسا وعلمانيا مناهضا للاكليركية.

في تشرين الأول من عام ١٩٢٢ تم تنفيذ العملية المسماة "الزحف على روما اذ حشد اصحاب القمصان السوداء وبدأوا يتحركون من جميع المدن باتجاه العاصمة روما بينما بقي موسوليني يوجه العملية في مقره في مدينة ميلان في ذلك الوقت اجتمع مجلس وزراء حكومة الاحرار - الديمقراطيين الائتلافية وابدى استهجانه لأحداث السنتين المنصرمتين لكنه في الوقت نفسه بين قناعته بأن اصحاب القمصان السوداء كانوا يخدمون غرضا وطنيا نافعا بمنعهم نشاطات مثيري الاضطراب اليساريين، ثم ابدى المجلس رغبته في تطبيق خطة كانت متأخرة وعديمة التأثير لإنقاذ الوضع بواسطة اعلان الاحكام العرفية غير ان الملك الايطالي رفض ذلك فاستقالت الحكومة ثم عين موسوليني رئيسا للوزراء في ٣٠ تشرين الأول من عام ١٩٢٢.

ولد بنيتو موسوليني سنة ١٨٨٣ من اب حداد وكان حاد المزاج وذا طبيعة مشاكسة، وفي اول امره انتسب الى الحزب الاشتراكي الايطالي ثم اصبح فيه من انشط المناضلين لأنه ظل حتى حرب ١٩١٤ رئيس تحرير جريدة الحزب "الافانتي L'Avanti" ولكن ما بدأت الحرب العالمية الاولة الا ووقع موسوليني في خلاف

مع اصدقائه السياسيين، وكان الاشتراكيون كلهم وفي اعقاب ذلك احتجت المعارضة في البرلمان الجديد وصرحت بأن الانتخابات لم تكن حرة وان الفاشست قاموا بأعمال الشدة والاكراه ضد خصومهم وطالبت بحل المليشيا الفاشية واعتبرتها مسؤولة عن هذه الاعمال، واننذ اي في ١٠ حزيران ١٩٢٤ خطف اربعة رجال النائب الاشتراكي ماتيوتي "Matteotti" احد زعماء المعارضة المشهورين، وهو في قارعة الطريق الى روما واركبوه عجلة ثم قتلوه ، فبدأ خصوم الحكومة يشيعون بأن هذا القتل قد أوحي به من قبل موسوليني مباشرة، وحصلت على اثر ذلك هزة عنيفة معنوية في الأوساط الفاشية، ولو في الظاهر على الاقل، بدأوا يتخلون عن الحزب وصرحت جرائد المعارضة – وكانت حرة حتى ذلك الوقت - بأنه يجب على موسوليني اذا اراد ان يبرئ نفسه ان يقدم استقالته من رئاسة الحكومة ليستطيع المثول أمام القضاء، ولكن موسوليني لم يقدم استقالته وفي ٣ كانون الثاني ١٩٢٥ قرر ان يضرب الضربة الكبرى وفي خطاب القاه في البرلمان صرح بأن الحملة الموجهة ضده انما هي حملة "دنسة" لأنها ارادت تشبيه الفاشية بعصابة من البرابرة، ثم لخص خطابه بقوله: "عندما يتنازع عنصران ويتعذر فض النزاع فالحل الوحيد هو القوة"، وعقب هذا الخطاب باشر موسوليني بتعديل وزارته، وسرح جميع الاعضاء الذين لا ينتسبون للحزب الفاشستي واعلن ان الدولة ستنظم بشكل يضع جميع السلطة في ايدي الفاشيين وانه يجب "القيام بتحديد كلي" في النظم والمؤسسات بل وفي العقلية الايطالية ايضا.

سياسة موسوليني

بعد بضع سنوات من عام ١٩٢٤ قلص موسوليني البرلمان الايطالي وحوله الى كيان تافه كما قلص حق التصويت العام ووضع الصحافة تحت الرقابة وحطم نقابات العمال ومنع العمان من الاحزاب كما الغى جميع الاحزاب السياسية باستثناء الحزب الفاشي، واقيم جهاز للشرطة السرية كما جرى تأسيس محاكم خاصة وظيفتها محاكمة مناوني النظام، وصار موسوليني يشهر بالديمقراطية ويعتبرها نظاما فات اوانه ويعلن بأن الديمقراطية تعمل على اثارة النزاع الطبقي وتجزئة الشعب داخل احزاب اقليات لا يحصى عددها كما انها تؤدي الى انتشار الانانية والعبث والمراوغة والكلام الفارغ، وبدلا عن الديمقراطية دعا موسوليني الى تبني نظام يؤكد على العمل "Action" ويترأسه زعيم بارز، وقد اتخذ هو لنفسه لقب "الزعيم" أو الدوتشي "Duce"، كذلك شجب موسوليني الليبرالية وحرية التجارة والرأسمالية الى جانب انتقاده للماركسية والمادية والاشتراكية والشعور الطبقي الذي قال عنه بأنه النسل الشرير للمجتمع الرأسمالي الليبرالي، وكبديل لهذه الانظمة دعا موسوليني الى التماسك القومي والى قيام الدولة بإدارة المصالح الاقتصادية في ظل زعامة شجاعة بصيرة بالعواقب.

الدولة النقابية:

انشأ موسوليني من الناحية النظرية على الأقل الدولة النقابية (السندكالية Syndical" وكان موضوع مثل هذه الدولة قد تم مناقشته لعدة سنوات من قبل الجماعات اليسارية واليمينية على حد سواء، فالنقابية اليسارية وخاصة قبل

الحرب العالمية الأولى دعت اتحادات العمال الثورية الى مصادرة املاك الصناعيين ثم القيام بادارة الحياة السياسية والاقتصادية.

وهناك مشروع للدولة النقابية اكثر محافظة لقي موافقة وتشجيعا من قبل الكنيسة الكاثوليكية وكان يستهدف احياء نقابات (اصناف العصور الوسطى حيث يعمل الاستاذ والصناع جنبا إلى جنب في عصر ذهبي سمته التعاون والسلام الاجتماعي، في الحقيقة أن النظام النقابي الفاشي لا ةيشبه أيا من النظامين المشار اليهما اعلاه لأن الدولة تعلب فيه دورا كبيرا وهذا ما لم تدع اليه اي من الانظمة النقابية القديمة.

لقد مرت النقابية الفاشية بعدد من المراحل المعقدة واخذت شكلها النهائي سنة ١٩٣٠ حيث قامت بتقسيم كافة أوجه الحياة الاقتصادية الى اثنين وعشرين قسما، وتأسس لكل قسم نقابة حرفية "Corporation" خاصة به، وفي كل نقابة يجتمع ممثلون للعمال واصحاب العمل والحكومة او (الحزب ليتدارسوا الامور المتعلقة بأحوال العمل والاجور والاسعار والسياسات الصناعية كما يجتمع ممثلو جميع النقابات في مجلس وطني لاستنباط الخطط التي تساعد ايطاليا على الاكتفاء الذاتي الاقتصادي.

وكان دور الحكومة حاسما في كل حالة يتدارسها المجلس كما ان الاخير كان يتبع من الناحية القانونية وزير النقابات، وكخطوة اخيرة ادمجت المجالس الاقتصادية النقابية في الجهاز الحكومي بصورة تامة، وعليه فقد حل في عام ١٩٣٨ محل مجلس النواب القديم المجلس الفاشستي والنقابي الذي يمثل النقابات من جهة والحزب الفاشستي من جهة أخرى وكان يتم اختيار اعضائه من قبل الحكومة دون الحاجة لمصادقة شعبية. زعم الفاشست ان نظامهم النقابي يعتبر مرحلة اعلى من الديمقراطية كما ذكروا ان الجهاز التشريعي في المجتمع المتقدم اقتصاديا يجب أن يكون برلمانا اقتصاديا لا يهتم بتمثيل الاحزاب السياسية والدوائر الانتخابية بل يقتصر على تمثيل الحرف الاقتصادية، ومثل هذا التنظيم سيقضي على الفوضى والصراع الطبقي الناجمين عن الرأسمالية الحرة، واللذين يؤديان الى اضعاف الدولة القومية، الحقيقة ان السلطة في ايطالية الفاشية كانت مناطة بالحكومة وخاصة برئيس الحكومة الذي كان يحل معظم المشاكل عن طريق اصدار المراسيم، كما ان الاضطراب الاجتماعي والصراع الطبقي لم يتم التخلص منهما بواسطة نظام الدولة النقابية بل عن طريق تحريم الأضرابات والغاء وغلق النقابات العمالية المستقلة، أن نظام الدولة النقابية يمثل شكلا متطرفا لسيطرة الدولة على الحياة الاقتصادية ضمن اطار اقتصادي محوره القطاع الخاص الرأسمالي الذي تكون ملكيته للأفراد وليس للمجتمع، لقد كان هذا النظام يمثل الجواب الفاشستي للديمقراطية الغربية والدكتاتورية البروليتارية السوفيتية، وبهذا الصدد ذكر موسوليني ان الفاشستية هي: "دكتاتورية الدولة على طبقات اجتماعية متعاونة فيما بينها".

المنجزات الفاشية:

عندما حلت الازمة الاقتصادية في اوربا لم تستطع اجهزة السيطرة الاقتصادية في ايطاليا من التصدي لها، وصار موسوليني يضع اللوم على الازمة الاقتصادية العالمية ويعتبرها العامل المسؤول عن استمرار المشاكل الاقتصادية في ايطاليا، وشرع يطبق برنامجا نشطا للخدمات العامة وزيادة الاكتفاء الذاتي الاقتصادي، واستهل ذلك البرنامج بـ "معركة القمح" وهي حملة استهدفت زيادة الانتاج من المواد الغذائية.

وتوسعت عملية استصلاح الاراضي في مناطق المستنقعات بوسط ايطاليا كما تحسنت اعمال توليد الكهرباء من القوة المائية كتعويض عن الفحم الذي تفتقر اليه ايطاليا، وطول فترة الحكم الفاشستي لم ينفذ أي اصلاح أساسي يتصل بوضع الفلاحين كما ان تركيب المجتمع الايطالي الحاوي على اقصى الغنى واقصى الفقر بقي دون تغيير، وفشلت الفاشستية في توفير الضمان الاقتصادي او الرفاه المادي الذي كانت قد طلبت من اجله التضحية بالحرية الفردية. غير انه مما لا ينكر ان الفاشية امدت ايطاليا بانتعاش سيكولوجي واسع المدى وساد الشعور بأن البلاد تجتاز مرحلة انبعاث قومي بطولي، ولتأييد ذلك الشعور توجه موسوليني بشكل متزايد بعد سنة ١٩٣٥ نحو المغامرات العسكرية والامبريالية